عام استنتج من فلسفته أو تصور انه أتى امراً جديداً لم يسبق اليه سابق فهو انه دعا الى اعادة الانسان الى شرفه في نظر أخيه والاهابة بالناس الى الغيرية وزحزحتهم عن الانانية ليكون المرء كبيراً في نفسه معتمداً عليها مستقلاً كل الاستقلال في افكاره وافعاله وهذه هي الشروط الحقيقية في القوة الشخصية والخير الاجتماعي

وما نرانا مخطئين لو عقلنا ان فلسفة اميرسون النظرية تتعاصى على التحليل فيقتضي حلها بحسب ما يوحي اليه وحي الوقت وان يرجع الى حلها في مشاكل المسائل المتعلقة بما وراء المادة واذا تعاورتها بالحذف والتنقيص تُفقدها رُواءها وتضع سناها وسناءها فعليك يا هذا ان تقبلها على علاتها وتشربها على كدوراتها اذ ان حسنها ان تبقى على رسمها كما صدرت عن ابي عذرتها وهو يسير في الفلوات ويصعد الآكام والعقبات ويوغل في الحراج والنابات ويملها بحسب ما تنزل عليه من السماء ويستنشقها من الهواء ويسمعها من حفيف الاوراق ويتناولها من أرج المروج الخضراء ويقرأوها في سطور المسايل والتيار . فان انت حذفت منها اضطرابها وارتخاءها وتلون صورها ولهجاتها وارتجالها ومواضع الوقف فيها تُصاب بآفة وعاهة . ولذا كان علينا ان نقبل تعاليم اميرسون بالحرف بدون ان نغير منها شيئاً فهو ابن الوحدة والتأمل »

شعراء النصرانية في الجاهلية

عُني حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي منذ برهة باظهار فضل شعراء النصرانية في عهد الجاهلية وهو نعم العمل لو توخى في ذلك صراط الحق واتبع سنن التاريخ المسنون نقلاً ورواية . الا انه حفظهُ الله قد أخذ على نفسه امراً هو في غاية الصعوبة والمنت ألا وهو تنصير بعض شعراء الجاهلية ممن لم يكن لهم من النصرانية حظ . فلا غرو انه يعد هذا العمل من قبيل تنصير من كان على الضلال مبتغياً بذلك القربى والزلفى من رب العباد واكتساب الاجر والثواب في الدنيا والمآب . غير انك

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وبالية وقف عند هذا الحد وكأنه لم يجتريء بذلك فاخذ الآن يحل قيد من تقيد بدين واجباره على النصرانية قبل أم أبى . كما فعل هذه السنة بالسوأل اذ اجبره وهو بين الاموات على انكار دينه وانتحال النصرانية له . فلا جرم لو أمكن للموتى ان ينطقوا لكان اول نطق السوأل انكار هذه الفعلة الشنعاء وهذا القهر المنكر : واذا سألتني متى فعل حضرة الاب هذا الفعل ؟ قلنا : فعل ذلك عند عثوره على قصيدة تُنسب الى صاحب الابلق الفرد (المشرق ٩ : ٤٨٢ و٦٧٤) وقد زاد عليها بعض النصارى بيتاً أو بعض ابيات لايهام القاريء انه كان على النصرانية . وهذا ما حدا الاب الى ان يقول في (المشرق ٩ : ٦٧٥)

« نشكر حضرة مراسلنا الذي أطلعنا على روايات هذه القصيدة . وكنا وددنا لو زادنا علماً عن النسخة التي أخذ عنها لتعريف قدمها وخواصها. وان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظننا السابق بان السوأل نصراني لا يهودي لا سيما ان أصله من بني غسّان و بنو غسان نصارى اه

قلنا : نقلنا كلام الاب برمته ليطلع عليه القاريء الحكم العدل و يعرف قوة براهينه وحججه . أما قوله : « ان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظننا السابق بان السوأل نصراني » . قلنا : ونحن نقول مثله غير انه لسوء الحظ خطته يدٌ أثيمة فحطته هذا المحطومن هذا يظهر ان الناظم النصراني الكاذب لم يراع انتقال الرموز شيئاً بعد شيء لتنتهي الى ظهور المسيح بل هجم على الموضوع دفعةً هجوم الذئب الجائع فوقع على فريسته وفراها بانيابه الا ان الغير وقعوا عليها أيضاً فاظهروا خيانته

وأما قول الاب : « ولا سيما ان أصله من بني غسان و بنو غسان نصارى » فهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب في عهد الجاهلية . لان من غسان من كان على دين دهماء العرب وهي الوثنية ومنهم من دان باليهودية وطائفة كانت على النصرانية

فكيف يقول بعد ذلك : ان غسان كانت نصارى

أما ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو أشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن أبي شمر الغساني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكه في ايام القياصرة فانه كان وثنياً فقاً ويتضح ذلك من انه : « اهدى سيفه المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم يخذم ليبت الصنم (عن الطبري ١ : ١٧٠٦) وبيت الصنم المذكور هو بيت مناة لان غسان كانت تعبد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادة مناة)

وزد على ذلك ان تلبية غسان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه : « لبيك رب غسان . راجلها والفرسان » (عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧) . وهذا سطيح الكاهن المشهور فانه كان غسانياً الا انه لم يكن نصرانياً وان كان خال نصراني من اهل الحيرة

فهل بعد كلام هؤلاء الائمة الافاضل مندوحة للايهام والابهام ؟ — نعم ان حضرته اذا اراد ان يزكي نصرانية شاعر برأ ساحته من كل ما يمكن ان يقع على ثياب دينه ادنى غبار الا ان ذلك كله اذا فات على عقول بعض القراء فلا يفوت على عقول الادباء لانه لا يشفي فيهم علة كما لا يروي منهم غلة

أما ان اليهودية كانت في غسان فهذا بين من دين السموأل فانه ليس من كاتب أو اديب أو مؤرخ أو لغوي ذكر دين السموأل الا وقال عنه انه يهوديّ المذهب فهذا الطبري وابن الاثير وابن خلدون والمسعودي وابو الفداء واليعقوبي وابن رسته ونحوهم هم لسان واحد لاثبات هذه الحقيقة الراهنة التي هي على زُبية من سيل الوهم والخطإ . لا بل ان حضرة الاب نفسه يقول بذلك في مجاني الادب ٣ : ٣١٣ في الحاشية فكيف انثنى اليوم عن رأيه ؟ — هذا وان اليعقوبي يقول بصريح العبارة ٢٩٨ « وتهود قوم من غسان » وهو يقول ايضاً في ص ٢٩٩ ان النصرانية كانت ايضاً في غسان . ومن ثم فقول من يقول ان اليهودية كانت في غسان كما ان النصرانية والوثنية كانتا فيها فهو بعيد عن سهام الملام

هذا من جهة السؤال والا فان حضرته قد نصر ايضاً غير هذا من الشعراء ما قد اذخر له أجراً مذكوراً لا يفنى ولا يزول اذ لا تمد اللصوص اليه يدها كما ان السوس لا يتعرض له . من ذلك انه نصر في الجزء الاول من كتابه « شعراء النصرانية » هؤلاء الواردة اليك اسماؤهم مرتبة على حروف المعجم :

الاخنس بن شهاب . أعشى بن قيس . الافوه الاودي . أفنون . امرؤ القيس وأعمامه . أمية بن أبي الصلت . بسطام بن قيس الشيباني . جساس بن مرة . جليلة . جحدر بن ضبيعة . الحارث بن حلزة . الجارث بن عباد . الخرنق أخت طرفة . سعد بن مالك البكري . السفاح التغلبي . سُوَيد بن أبي كاهل اليشكري . طرفة . عبد يغوث . عمرو بن قيئة . عمرو بن كلثوم . عميرة بن جُعيل التغلبي . الفند الزماني كليب . وائل بن ربيعة . المتلس . المثقب العبدي . المرقش الاصغر . المرقش الاكبر . المسيب بن علس . المنخل اليشكري . المهلهل أخو كليب

ونصر في الجزء الثاني : الاسود بن يعفر . ذا الاصبع العدواني . أوس بن حجر الحصين بن حمام . دريد بن الصمة . الذبياني . الربيع بن زياد . زهير بن أبي سلمى المزني . زيد بن عمرو بن نُفَيل . سلامة بن جندل . عُبَيد بن الابرص الاسدي . عروة بن الورد . علقمة الفحل . عنترة العبسي . كعب بن سعد الغنوي

ولعلك تظن ان عمله المبرور يقف عند حد تنصير الافراد فاربع على ظلمك فقد نصر ايضاً عدة قبائل وبطون مما يدل على غيرته . فمنه كندة ومذحج وطيء وتغلب وقضاعة واياد وبكر وتميم ومُزينة وأسد وكنانة وعُدوان وذُبيان وغني وهوازن وعبس كلهم نصارى لا غير ولا غرو انهم تلقوا الايمان القويم عنه عند قدومه الى العالم واسماعه اياهم صوته وهم في القبور

على انك لو وقفت على سر دعائه هؤلاء الاقوام الى دين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لاستغرقت في النوم والاحلام الا اني لا أريد أن أطلعك بنفسي

على هذا السر الغريب بل أجتزيء بان أورد لك بعض الشواهد لتقف أنت بنفسك عليه بدون أن أبوح لك به ليكون كل الفضل لك

قال مثلاً في المشرق ٧ : ٦٢٠ « قال طخيم بن الطخماء يمدح بني تميم :

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق » اه

قلت : ان الكلمات التي قدّمها على هذا البيت وصدّره بها يوهم ان تميماً كلها كانت نصارى . والحال ان الحق هو على غير هذا الوجه فان الشاعر مدح « بعضاً » من تميم . قال في الكامل ١ : ٢٦ (من الطبعة المصرية) ماهذا حرفهُ : قال أبو العباس : ومن سهل الشعر وحسنهِ قول طخيم بن أبي الطخماء الاسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة من بني امريء القيس بن زيد مَنَاة بن تميم . ثم من رهط عديّ بن زيد العبادي :

كأن لم يكن يومٌ بزورة صالحٌ وبالقصر ظلٌّ دائمٌ وصديقُ

بنو السمط والحدّاء كل سميدع له في العروق الصالحات عروقُ

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ

اه المقصود من ايراده . وعلى هذا الوجهِ أيضاً جاء النظم المذكور في معجم ياقوت في مادة زورة ٢ : ٩٥٧ فكيف صير اذاً جميع بني تميم نصارى وفيهم الوثنيون والمجوس واليهود والثنويّة والنصارى الى غير ذلك من الاديان ؟ فلا جرم أن حضرة الاب واهمٌ في قوله هذا بل موهم !

ومن غريب أمره أنهُ من بعد أن نصّر تميماً قال بعد صفحات من قوله المذكور في بني تميم كلاماً هذا نصهُ بحرفهِ : « وعلى ظننا أن الذين هجوا بني حنيفة لأكلهم لحومهم وقت المجاعة انما أرادوا القربان الاقدس . كان بنو حنيفة النصارى يتناولونهُ فظن الشاعر أن ذلك لجوعهم قال بعضهم :

أكلت حنيفةُ ربها زمن التقحّم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم سوء العقوبة والتباعه

وقال الآخر :

أكلت ربّها حنيفةُ من جو ع قديمٍ بها ومن اعواز

(اه عن المشرق ٧ : ٦٢٢)

قلنا : ان الذين هجوا بني حنيفة هذا الهجو كانوا من تميم (عن الآثار الباقية ص ٢١٠) فاذا كان الاب يزعم أن بني تميم كانوا نصارى وكان بنو حنيفة أيضاً نصارى فكيف يُعيّر الواحد الآخر بشيء هو فيه ؟ أما تحرير الرواية فهو ان « بعض » بني حنيفة (لا كلهم) كانوا نصارى وهم الذين كانوا يكونون في رُصافة هشام المعروفة باسم الزوراء والا فان سائر بني حنيفة كانوا على أديان مختلفة حسب البلاد التي كانوا يكونون فيها . والذين أشار اليهم الشاعر هم الذين كانوا قد اتخذوا صنماً من حَبَس (والحبس تمر يخلط بسمن وأقط فيُعجن ويُدلك شديداً حتى يمتزج ثم يُندر منه نواه وربما جُعل فيه سويق . ولم يكن من الخبز قط) . قال في الآثار الباقية ص ٢١٠ : كان بنوحنيفة قبل مُسيلمة اتخذوا في الجاهلية صنماً من حبس فعبدوه دهراً . ثم أصابتهم مجاعة فقال رجل من بني تميم : أكلت ربها . اليت . وقال آخر : أكلت حنيفة . اليت . فاين هذا مما يذهب اليه حضرة الاب ؟ فلا جرم أنهُ واهمٌ بل موهِم

وقال حضرتهُ في المشرق ٧ : ٦٢١ « وكان المتنصرون من أهل الجاهلية يعبدون الصليب كما دل عليه بعضهم في هجو بني عجل وكانوا نصارى :

تهدّدني عجلٌ وما خلت انني خلاةٌ لعجل والصليب لها بلُ » اه

قلنا : ولم يكن بنو عجل كلهم نصارى بل « بعض » منهم . والا فان أغلبهم كانوا على الوثنية دين دهماء العرب لا النصرانية كما يريد الأب أن يوهمهُ . اذ بنو عجل كانوا من بكر بن وائل ووجود الوثنية في بطون بكر أمرٌ لا يحتاج الى ايضاح

وقال أيضاً في المشرق ٧ : ٦٢٤ « وقال الزبرقان بن بدر :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا منا القروم وفينا تنصب البِيَعُ » اه

فأدخل وهمين في هذا الكلام . أولاً جعل الزبرقان من النصارى كما أوضح ذلك بين العبارة في شرح المجاني ص ١٣٥ اذ قال : « كان (الزبرقان) في الجاهلية سيداً يدين بالنصرانية وهو القائل :

نحن الملوك فلا حيّ يقاومنا فينا العلاء وفينا تنصب البِيَعُ

وفَدَ مع بني تميم على نبيّ المسلمين سنة ٩ هـ ٦٣١ م فاسلم بنو تميم وأجازهم محمد » اه المقصود من ايراده

والحال ان الزبرقان لم يكن هنيهةً من الزمان نصرانيًّا فلو سلمنا له ان رواية البيت « وفينا تنصب البيع » صحيحة لكان لفظ « البيع » هنا جمع بيعة بكسر الاول مثل الحِلية والرِّكبة للنوع والهيئة . والمراد مبايعة الملوك وطاعتهم والمعاقدة على ولائهم والمعاهدة عليه كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره . ومحصل معنى البيت على هذا هو : نحن الملوك والكرام أوالقروم وفي شأننا نجري عقود البيعة لا مستحق لها غيرنا . وهذا معنى يلائم ما قبله وما بعده ويمتزج معهما امتزاج الماء بالراح لا أن البِيَع جمع بيعة وهي كنيسة اليهود أو النصارى على ما ذكره أهل اللغة فانهُ مع عدم ملاءمته للكلام منافٍ لما صرح به أهل المقالات ومن تكلم على أديان العرب . والدليل اذا طرقهُ الاحتمال بطل به الاستدلال

على ان للبيت رواية ثانية ذكرها صاحب الاغاني ٤ : ٨ وهي :

نحن الملوك فلا حي يقاربنا منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

وفي زاد المعاد وقد ذكر القصة مفصلة في الصفحة ٤٥٢ من الجزء الثاني رواية ثالثة وهي:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا يُنصب السُبُعُ

وفسر السبع انه يوم عيد من أعياد الجاهلية . فكيف يقول ان الزبرقان كان نصرانياً وأي كاتب من الكتبة الاقدمين أو المحدثين يقول بهذا القول الفج والبراهين متضافرة ومتكاتفة ومتساندة على كونهِ خالياً من دين عيسى بن مريم

والوهم الثاني الذي حاول ادخاله في العقول هو تأييد بني تميم أنهم كانوا كلهم على النصرانية . وهو يزعم ذلك في جميع ما يكتبه فقد قال في المشرق ٧ : ٦١٨ « اشتهرت (عدة قبائل) بالنصرانية قبل الهجرة كتغلب وتميم وكندة » اه . فنحن نقول : « انه لم يوجد في عهد الجاهلية قبيلة واحدة كان يدين جميع أفرادها بالنصرانية لا كندة ولا تميم ولا بكر ولا تغلب لا بل ولا غسان » . فان هذه القبائل كانت أحياء وبطوناً تعبد الاصنام أو كانت على غير النصرانية فقد بينا لك ما كانت عليه غسان من اختلاف الاديان . وهذه تغلب المشهورة بكونها نصرانية فانها لم تكن كذلك في عهد الجاهلية

أما كون بعضها كان يعبد الاصنام فهذا ما لا ريب فيه . قال ياقوت في معجمه في مادة أُوال (١ : ٣٩٥) « أُوال اسم لصنم كان لبكر بن وائل وتغلب بن وائل » اه . وكانت تغلب من ربيعة وكانت تلبية ربيعة عند وقوفها عند صنمها هذه : ليك ربنا ليك . ليك ان قصدنا اليك . وبعضهم يقول : ليك عن ربيعة . لربها مطيعة . اه عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٦ ولم تكن الغالبة ممن كانوا يعبدون الاصنام عبادة بدون ان يعتقدوا بصحتها ولذا تراهم يحلفون بها . ومن ذلك كلام جساس حينما سأله أبوه مرة بعد قتله لكليب : « ما وراءك يا بنيّ ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصاً . قال : أقتلت كلياً ؟ . قال : إي وأنصاب وائل وأيّ قتل » . (عن كتاب شعراء الجاهلية ١ : ١٥٥) وبهذا المعنى حلف ايضاً المهلهل أخو كليب وكان وثنياً اذ قال

كلا وأنصاب لنا عاديّة معبودة قد قطعت قطيعا

قال صاحب الضياء مفنداً حضرة الاب لويس شيخو وقد أجاد : « الانصاب : الاصنام أو كل ما عُبد دون الله وفسرها جامع الكتاب بانها كانت حجارة ينصبونها في الجاهلية ويُهِلّ عليها ويُذبح لغير الله تعالى . قال : وبقي منها بعضها بعد تنصّر ربيعة وكان الجهال من العرب يعبدونها . اه . وكأنهُ ظن أن هذا القول يثبت نصرانية

المهايل ويخرجهُ من الذين كانوا يعبدون هذه الانصاب مع أن الرجل يحلف بها ويصرّح بانها « معبودة » ولا يُعقل أن أحداً يحلف بمعبود غيره اذا كان يعتقده باطلاً . وزد على ذلك أنه يقول : وأنصاب « لنا » بضمير المتكلمين فجعل نفسه في جملة أصحاب تلك الانصاب ووصفها « بالعادية » أي القديمة اثباتاً لرسوخ عبادتها في قومه وان هذه العبادة انتهت اليه عن أسلافه الاولين . ولكن الظاهر ان حضرة الاب كلما عثر على من شُكَّ في دينه أو جُبل أمره عده نصرانياً تكثراً بالباطل وتبجحاً بما ليس وراءه طائل » اه (الضياء ٥ : ٢١٨)

ثم أيجهل حضرة الاب ان من التغالبة من اتبع سجاح بنت الحارث بن سويد ابن عقفان المتنبئة فليراجع الطبري ١ : ١٩١١ يرَ انهم تركوا التنصر مع رئيسهم المذيل ابن عمران وانضووا اليها . وعليه فلم تكن كل تغلب نصارى الباقي للآتي

بغداد أحد القراء

تسامح العظماء

تابع ماقبله

اتصل ثابت بن قرة الحراني بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين وأقطعه ضياعاً جميلة وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابي وهو ممن حظي عند الامراء ايضاً : ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نثر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جداً فلما نثر يده من يد ثابت قال له: يا ابا الحسن وكان في الخلوات يكنيه وفي الملاء يسميه سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت